أسطورة أرض إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات .. وَهْمٌ مُحال يتبدد مع مرور الزمان

محمد سعد زغلول سالم

الإثنين ١١ ديسمبر ٢٠٢٣

دَرَجَ كُلُّ مَنْ يتناول قضية فلسطين المحتلة سواء من المنظور الدينى الإسلامى أو اليهودى أو المسيحى أو من المنظور السياسى الإستعمارى على التحذير من الخطر الذى تشكله إسرائيل على الأمة الإسلامية وعلى العالم العربى والمتمثل فى أطماعها العقائدية التى تتمَحْوَر حول تحقيق هدف أو حلم الوجود فى والسيطرة على (أرض إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات الكبير) أو هو فى حقيقة الأمر وطبقاً للنبوءة التوراتية (من العريش إلى الفرات الكبير) حيث أن معنى (النيل) فى هذه النبوءة الأسطورية ينطبق على الأرجَح على آخر فروع النيل السبعة القديمة والذى كان يجرى فى وادى العريش وليس على مجرى النيل الرئيسى الذى يجرى فى قلب مصر مثلما نراه الآن. ومن الجائز أيضاً أن يكون المقصود فى هذه النبوءة الخرافية نهر النيل الرئيسى ويكون إطلاق لفظ (الكبير) وصفاً لنهر (الفرات) ربما للتفرقة بينه وبين نهر (دجلة) الأصغر منه وقد يكون راجعاً إلى ذكر نهر (الفرات) فى سفر التكوين بإعتباره أحد الأنهار الأربعة التى تنبع من الجنة.

ومنذ البدايات الأولى لنكبة إحتلال فلسطين وقيام دولة إسرائيل وحتى الآن مازال هذا التحذير من الأخطار التوسعية للكيان الصهيونى فى فلسطين يحتل مكانَ الصدارة فى أى تحليل أو نقاش حول قضية فلسطين رغم مُجافاتِه للمنطق وللعقل ولحقائق الجغرافيا والديموجرافيا والأنثروبولوجيا على حدٍ سواء. فعدد سكان إسرائيل من اليهود يبلغ الآن حوالى سبعة ملايين نسمة من مجموع ستة عشر مليوناً هم عدد اليهود فى جميع أنحاء العالم. ولو جَمَحَ إلى أقصى الحدود خيالُ مَن يحذرون من خطورة نجاح إسرائيل بمساعدة جميع الدول المسيحية المساندة لها والتى تنساقُ وراء خرافات وأساطير وخِداع الصهيونية لها بضرورة هدم المسجد الأقصى وإعادة بناء هيكل سليمان وقيام مملكة يهوذا مرة ثانية على أرض إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات كضروراتٍ لازمة التحقيق من أجل العودة الثانية للمسيح .. فإن هذا الخيال لا يستطيع أن يقدم تصوراً واقعياً منطقياً أو معقولاً أو مقبولاً لكيفية سيطرة سبعة ملايين يهودى أو حتى ستة عشر مليوناً من اليهود هم كل عددهم فى العالم على مساحةٍ شاسعة تشمل بالإضافة إلى وبدءاً من وادى العريش فى شبه جزيرة سيناء فى مصر جميعَ أراضى فلسطين ولبنان والأردن ونصف مساحة سوريا وثلث مساحة جزيرة العرب وكل مساحة الكويت وثلثى مساحة العراق وصولاً إلى الضفة الغربية لنهر الفرات.

ويغفل أو يتغافل كُلُّ من يُحَذِّر من خطر هذا الهدف الواهم لقيام مملكة يهوذا على أرض إسرائيل الكبرى عن حقائق التاريخ البعيد والقريب التى تقرر أنه بعد مائة وست وعشرين عاماً على إعلان تيودور هرتزل فى المؤتمر الصهيونى الأول فى سويسرا عام ١٨٩٧م عن البدء فى إتخاذ الخطوات المؤدية لإقامة الكيان الصهيونى فى فلسطين وبعد قيام هذا الكيان الغاصب فيها منذ خمسة وسبعين عاماً وحتى الآن لم ينجح هذا الكيان فى السيطرة على كل أرض فلسطين المحتلة أو الإستقرار الهادىء أو الإحساس بالأمن والسلام الزائفَيْن فيها إلاَّ لأيامٍ معدودة أعقبت نكبة ٥ يونيو ١٩٦٧ .. بل إنه يذوق ويتجَرَّع وبعد كُلٍّ هذه السنين فى غِمار حرب غزة المحتدمة منذ ستة وستين يوماً حتى الآن إذلالاً عسكرياً غيرَ مسبوقٍ على أيدى مجاهدى المقاونة الإسلامية فى فلسطين رغم قوته العسكرية بالغة الضخامة والتى لم تستطيع حمايته من هذا الإذلال العسكرى الذى كان مؤكداً أن يكون هزيمة عسكرية ساحِقَة له لَوْلا الدعم العسكرى الأمريكى المُطلَق وغير المحدود له.

كما يغفل أو يتغافل كُلُّ من يُحَذِّر من خطر هذا الهدف الواهم أيضاً عن الإستحالة الواقعية فى وجود أو حياة ستة عشر مليوناً من اليهود وسط مئاتٍ الملايين من المسلمين أو كيفية سيطرتهم على مقدرات حياتهم فى هذه المساحة الشاسعة التى ربما لن تزيد نسبة اليهود إلى المسلمين فيها عن جزءٍ واحد إلى بضعة أعشار من المسلمين الذين يزيدون فى أعدادِهِم كُلَّ عامٍ بعشرات أو رُبَّما بمئات أضعاف ما يزيدُ به اليهود .. وهو إحتمال شبه مُحال لأسبابٍ عديدة تشكلت أهَمُّها وأخطرُها وأسوأها تأثيراً ولاتزال تتشكل بوتيرةٍ متزايدَة بفعل جرائم ومذابح ومجازر الكيان الصهيونى المجرم الهمجى المستمرة بغير إنقطاع ضد الفلسطينيين والتى بلغت ذروتها فى جرائم حرب غزة الدائرة منذ ستةْ وستين يوماً ولاتزال محتدمة بغير إنقطاع والتى وإنْ كانت تكشف لجميع أصحاب الضمائر الإنسانية فى العالم كله من المسيحيين المُسالمين الذين لا يعتقدون فى خرافات وأساطير الصهيونية الصليبية ومن اليهود المُسالمين الذين يناصِبون عقائد الصهيونية الإجرامية الهمجية العداءَ عن الطبيعة الوحشية لهذا الكيان فإنها تملأ نفوسَ وعقولَ الفلسطينيين والمسلمين والعرب بمشاعر الكراهية والحقد والرغبة فى الثأر والإنتقام الذى سوف يكون مُرَوِّعَاً من مُجْرِمى هذا الكيان عندما يحينُ أوانُه بما يجعل من أوهامِهِم فى التواجُد والإنتشار على أرضهم الكبرى التى يتوهمونها ويحلمون بالحياة بها والإستقرار فيها وسط مئات الملايين من الفلسطينيين والمسلمين الذين يتحينون الوقت للثأر والإنتقام قراراً بالإنتحار الجماعى أو حُلْماً من أحلام اليقظة لا مصيرَ لمن يحلم به منهم غير الموت أو القتل بغير رحمةٍ أو إشفاق.

إنَّ هذه النهاية المُفْجِعَة التى تنتظر أوهام وأحلام وخرافات وأساطير الكيان الصهيونى فى أرض إسرائيل الكبرى التى يحيا بها ويقتاتُ عليها ويُرَدِّدُها مُجْرموه الحالمونَ بها وكذلك مَنْ يتخيل إمكانية حدوثها مِنْ الذين يُساندونه أو يُهادنونه من الجهلاء أو الجبناء أو الخونة أو المنافقين أو الغافلين أو المتغافلين عن حقائق الواقع وحقائق الجغرافيا وحقائق الديموجرافيا وحقائق الأنثروبولوجيا وحقائق التاريخ هى نبوءَة مَحْتومَة بنص القرآن الكريم الذى يكشف عن سوءِ العاقبة الذى توعد به الله وأنزلَه بكُلِّ مَنْ ضَلَّ عن سبيله وهُداه من أقوام منذ عهد نوح عليه السلام مروراً بكل الضالين والباغين والظالمين والمُفسدين فى الأرض حتى الآن .. فهذه هى سُنَّتُهُ التى إسْتَّنها لخَلْقِه جميعاً بمقتضى عَدْلِه .. وهى وَعيدُه الذى توَّعدَ به بنى إسرائيل جزاءَ إفسادِهِم فى الأرض مثلما يَبينُ من تاريخهِم المَوْصوم بإشعال الضغائن والفتن والحروب بين الدول وبنشر المباذل والمفاسِدْ والفجور والشرور بينَ البشر وبإرتكاب الجرائم المُرَوِّعَة ضد الفلسطينيين التى لم يَسْبقهُم إلى إرتكاب نظائِرها أشَدُّ وأشَرُّ وأسوأ الطُغاة فى تاريخ الإنسانية رغم أنهم ذاقوا وَيْلات وأهوال مثيلاتها على أيدى مُجْرِمى النازية فى ألمانيا ورغم ذلك يرتكبونها بإستمرار وبغير توقف أو إنقطاع منذ نشأة الكيان الصهيونى المجرم فى

فلسطين وحتى يومنا هذا .. وهو وعدٌ قادم لا مَحالَة يترقَّبْهُ المؤمنون وينتظره كُلُّ المُحبين لعالم يعُمُه الأمنُ والسلام بغير شرورٍ أو حروب مصداقاً للآية الكريمة (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا). والله حكيمٌ خبير وهو بكل شيءٍ عليم.